الملامح الصوفية في كتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي

Sufi features in the book
Ta‘rīf al-Khalaf bi-rijāl al-Salaf li-Abī al-Qāsim al-Ḥifnāwī

طويلب عبد الحكيم[1]
المركز الجامعي بمغنية
touilleb.abdelhakim@cumaghnia.dz

تاريخ الوصول 2022/07/05 القبول 2022/09/08 النشر على الخط 2022/09/15
Received 05/07/2022 Accepted 08/09/2022 Published online 15/09/2022

ملخّص:

يُعتبر **أبو القاسم الحفناوي** واحدًا من أبرز الشَّخصيات الَّتي لعبتْ دورًا كبيرًا في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية أثناء الفترة الاستعمارية؛ حيث كان له احتكاكٌ واسعٌ بالحياة العلمية في عصره، وشغفٌ بطلب العلم وتحصيله، وقد ترك لنا **كتاب تعريف الخلف برجالِ السَّلف** الذي اكتسب بسببه شهرةً كبيرةً، حيث جمع في طيَّاته تراجمَ واسعةً للعلماء والأدباء من مختلف العصور، مُستعينًا بمادةٍ كبيرة من المصادر تتنوَّع من مخطوطات ومراسلاتٍ ووثائق، ومنها ما أخذها سماعاً من العلماء وشيوخ الزَّوايا.

ومن بين المميِّزات التي يمتاز بها هذا الكتاب هي بُروز الطَّابع الصُّوفي الَّذي يَغلب على كثيرٍ من صفحاته؛ والَّذي يعكس تكوينَ مؤلِّفه العلمي، والَّذي كان على يد شيوخ الزَّوايا الَّذين كانوا يمثِّلون الطُّرق الصُّوفية آنذاك، وهذه الميزة الَّتي عُرف بها **الحفناوي** وانعكستْ على كتابه **تعريف الخلف**، إنما تدلُّ دلالةً واضحة على ما كان سائدًا في تلك المرحلة من انتشارٍ واسع للطُّرق الصوفية عبر رُبوع **القطر الجزائري**. ولأجل ذلك جاءَت هذه **الورقة البحثية** لتُبرز ملامح هذه الظاهرةً الَّتي كانت سائدةً في الفترة الاستعمارية بالجزائر، لعلَّها بذلك تُضيف إلى الدِّراسات الَّتي كُتبت مزيدًا من التَّبيين لجانبٍ من جوانبَ كثيرةٍ متعلقة بأهمِّية الكتاب وصاحبه.

الكلمات المفتاحية: الحفناوي، الصوفية، الطرقية، الزوايا، الاستعمار.

Abstract:

Abu Al Qasim al-Hafnawi is one of the most prominent figures who played a major role in preserving the Arab-Islamic identity during the colonial period, where he had extensive contact with scientific life in his time, and a passion for the demand and collection of science, he left us a book **Ta‘rīf al-Khalaf bi-rijāl al-Salaf**, which gained him great fame, as he collected a number of wide translation of scholars and literati in ottman aria and the beginning of the colonial era, We’re using large resource of Sources vary from manuscripts, correspondence and documents.

Among the distinguishing features of this book is the emergence of the Sufi character that dominates many of its pages; Which reflects the composition of his scientific work, which was at the hands of the sheikhs of the angles who were representing the Sufi orders at the time, and this feature that Al-Hifnawi was known and reflected in his book Ta’rif Al-Khalaf, indicates a clear indication of what was prevalent at that stage of the wide spread of Sufi methods across the country The Algerian. For this reason, this research paper came to highlight the features of this phenomenon that was prevalent in the colonial period in Algeria, perhaps adding to the studies that were written more clarification of many aspects related to the importance of the book and its author.

Keywords: Hefnawi, Sufism, tariqa, zawiya, colonialism.

[1] – المؤلف المراسل: طويلب عبد الحكيم البريد الإلكتروني: **touilleb.abdelhakim@cumaghnia.dz**

1. مقدمة

في تاريخ **الجزائر** محطاتٌ كثيرةٌ وشخصياتٍ لا حصر لها ينبغي للدِّراسات الحديثة أن تُولِيها من الاهتمام والعناية ما يمكِّن من تجلية صُورها المشرقة للتَّعرُّف على جوانبها الأدبية والاجتماعية والسِّياسية، وإنَّ ذلك من شأنه أن يرفع الغُبار عمَّا خفِي من تاريخ **القطر الجزائري**، واستخراج كنوزه الدَّفينة الَّتي تُعتبر تراثاً قوميًا يحتاج إلى الأقلام الرَّصينة لتحقيقه ودراسته وإعادة إخراجه للنَّاس.

ومما يلاحظ في تراثنا العلمي أنَّه لم يحظَ بالعناية اللَّائقة الَّتي تجعلُه يُواكب نظيره في المشرق العربي، وظلَّ لسنواتٍ طويلةٍ يعاني من الإهمال والتَّهميش، رغم ما يزخر به من إبداعاتٍ لا تقلُّ شأنًا وأهميةً عن الإبداع المشارقي، وكان لسان حاله هو قول الإمام **ابن حزم الأندلسي**[1]:

أنـــا الشَّـــمس في جـــوِّ العلـــوم مُنـــيرةٌ ولكــــنَّ عيــــبي أنَّ مطلعــــيَ الغــــربُ
ولــو أنَّــني مــن جانــبِ الشَّــرق طــالعٌ لجــدَّ علــى مــا ضــاع مــن ذكــريَ النَّهــبُ

وكان ذلك راجعٌ إلى عدَّة أسباب، من بينها: تجاهلُ أبناء هذا التُّراث القيامَ بما عليهم من الحقِّ تجاهه، وذلك بدراسته وتصنيفه، وترجمة أعلامه، وجمع لآثارهم ودواوينهم، ما جعل الكثير من هذا التُّراث يضيعُ في غياهب الزَّمن، وتندرسُ آثاره إلا القليلُ الَّذي سَلِم من يد الضَّياع.

ومع ذلك كانت تظهر من حين لآخر مؤلفاتٌ تحاول أن تسدَّ الفراغ المتعلِّق بتاريخ القطر الجزائري وترجمة أعلامه، نذكر منها على سبيل المثال: **البُستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** لابن مريم، و**عنوان الدِّراية فيمن عُرف من العلماء ببجاية** للغبريني، و**تعريف الخلف برجال السلف** لأبي القاسم الحفناوي الذي هو محور هذه الدِّراسة.

وتكمن أهمية كتاب **تعريف الخلف** في أنَّه يُعتبر نقطةً بارزةً في تاريخ التَّأليف الجزائري؛ إذ أنَّ **الحفناوي** استطاع بمجهوداته الفردية أن يسدَّ ثغرةً كبيرةً في التَّعريف بالشَّخصيات السِّياسية والعلمية والأدبية؛ لذلك فإنَّ دراسته وإبراز جوانبه التاريخية والفنية من آكد الواجبات التي تقع على عاتق الدارسين والأكاديميين، حتى يستطيعوا أن يذللوا صعابه للقارئين، ويستوحوا دلالاته الخفية التي من شأنها أن تفتح الأعين عن حقائق تاريخية خفية، وجوانب إبداعية كانت في طي النسيان.

وما من مؤلِّف كتابٍ إلَّا ويترُك بصمتَه على كتابه، وتنعكس في جوانبه ميولاته وأفكاره وأيديولوجياته، ومنها ما يكون خفيًّا لا يمكن إجلاؤه إلا بقراءة ما بين السُّطور، ومنها ما يكون طاغيًا على الكتاب كلِّه، كما في كتاب **تعريف الخلف** الذي طغى عليه الطابع الصوفي بشكل مُلفتٍ للنَّظر، فما هي الأسباب التي جعلته يكون السمة البارزة في كل صفحات الكتاب؟ وهل لهذا البروز علاقة بما يؤمن به الكاتب ويعتقده؟

(1) ابن حزم الأندلسي. **ديوانه**. ت. عبد العزيز إبراهيم، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص 35.

إنَّ هذا البحث يهدف بالأساس إلى بيان تلك العلاقة الوطيدة بين ما يعتقده **الحفناوي** في الصوفية وشيوخها وبين تجلياته في اختياره للشخصيات التي ترجمها في كتابه **تعريف الخلف برجال السلف**، وكيف كان يتحمس بقوة عند إيراده لشخصية صوفية ممن اشتهرت كراماتها بين النَّاس، ويُطيل في سردِها والتَّوسُّل بها رجاءَ حصولِ البركة وقضاء الحاجات، بالإضافة إلى ما يُمكن أن نستشفَّه من تأثير العصر الَّذي كان يعيش فيه **الحفناوي** على أفكاره ومعتقداته الصُّوفية.

وممَّا يُؤسف له أنَّ كتاب **تعريف الخلف للحفناوي** لم يحظَ بدراساتٍ رصينةٍ تُبرز جوانبه التَّاريخية والفنِّية والجمالية، ولم يلقَ ذلك الاهتمام الَّذي لقيته كتُب التَّراجم في المشرق العربي، اللَّهمَّ إلَّا بعض المقالات والمحاضرات القصيرة، ممَّا جعلني أجد بعض الصُّعوبات في إعداد هذا البحث، وكان اعتمادي على مرجعين أساسييْن ساعداني كثيرًا في إكمال بحثي، أوَّلهما هو تلك الدِّراسة المطوَّلة الَّتي أعدَّها **خير الدِّين شترة**، وجعلها كمقدِّمةٍ لتحقيق كتاب تعريف الخلف للحفناوي والَّتي قاربتْ الخمسمائة صفحة، تعرَّض فيها إلى أغلب جوانب الكتاب وصاحبه، وثانيهما هو **تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله**؛ حيث تعرَّض في المجلد السابع للحفناوي ونشأته وتكوينه، ومضمون كتابه تعريف الخلف وملابسات تأليفه.

وكان الاعتمادُ في هذه الدِّراسة الَّتي سمَّيتُها "الملامح الصُّوفية في كتاب تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم الحفناوي" على المنهج الوصفي الَّذي يمتزجُ به في كثير من المواضع المنهجُ الاستدلالي، باعتبارِ أنَّ التَّعرُّض لدراسة أي كتاب لا يخلُو من وصفٍ لهذا الكتاب، ولكنَّه لا يفترقُ مع استنبَاط الدِّلالات المرتبطَة به؛ فهُما يسيرَان جنبًا إلى جَنْب في مثلِ هذِه الدِّراسات.

2. أضواءٌ على كتاب تعريف الخلف ومؤلفه الحفناوي:

هو "أبو القاسم محمَّد الحفناوي بن الشَّيخ أبي القاسم الديسي البوسعادي بن إبراهيم الغول"[(2)]، من مواليد بلدة **الدِّيس** القريبة من **بوسعادة** سنة 1369هـ / 1852م، نشأ في تلك البيئة الصَّحراوية القاسية، ومكَّنتْ له الظُّروف "حُبَّ العلم وحُبَّ التَّجوُّل والبحث عن مصادر الثَّقافة"[(3)]، وجعلت منه واحدًا من أبرز الشَّخصيات الَّتي لعبتْ دورًا كبيرًا في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية أثناء الفترة الاستعمارية؛ حيث كان له احتكاكٌ واسعٌ بالحياة العلمية في عصره، وشغفٌ بطلب العلم وتحصيله، إلى أن استطاع تولِّي منصبَ مُفتي المالكية في القُطر الجزائري، ولم يكن تعليمه في المدارس المعروفة كالمدرسة **الثَّعالبية** بالجزائر العاصمة أو المدرسة **الكتَّانية** بقسنطينة، ولكنَّ تحصيله كان من زوايا العلم المعروفة آنذاك؛ فتعلَّم الفقه بزاوية **الشَّيخ ابن أبي داود** بجبل زواوة، والعربية في **زاوية طولقة**، وسمع الحديث والتَّفسير في **زاوية الهامل**.

(2) صالح بلعيد، **قراءة في تعريف الخلف برجال السلف للشَّيخ أبي القاسم محمَّد الحفناوي الديسي**، يوم الدراسي حول الشَّيخ أبي القاسم الحفناوي، دائرة الديس بولاية المسيلة، يوم 20 أفريل 2006.

(3) أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي**. دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط. خاصة، 2007، ج7، ص 427.

ثمَّ إنَّه لم يكتفِ بالتَّعلُّم على الطَّريقة التقليدية الكلاسيكية، وإنَّما وسَّع معارفه بالاطلاع على الدِّراسات الحديثة بعد أن سعى إلى تعلُّم وإجادة اللُّغة الفرنسية على يد المترجِم **أنطوان آرنو** "Antoine Arnaud" الَّذي عبَّر له الحفناوي بنفسه عن امتنانه لأنَّه كان السَّبب في تعلُّمه اللُّغة الفرنسية، واعتبره "شيخه في العلوم العصرية أيضًا، وإنَّه ربَّاه عقليًا وعلميًا ... ووصفه بالحكيم، ولازمه في الجريدة حوالي اثني عشر سنة، وكان **آرنو** محرِّرًا لها و**الحفناوي** هو كاتبه"[4]، وبهذه اللُّغة تمكَّن من الاطِّلاع على العلوم الطِّبية والطَّبيعية والكونية السَّائدة في عصره.

وقد مكَّنته علاقته بشيخه **آرنو** "Arnaud"، و**بإدارة الشؤون الأهلية** الَّتي كان يُشرف عليها الضَّابط المختصُّ في شؤون الطُّرق الصُّوفية، **لويس رين** "Louis Rinn" من امتهان الكتابة الصَّحفية؛ حيثُ عَمِل في **جريدة المبشِّر**، في التَّصحيح والإضافة والتَّرجمة. و"**التَّصحيح** أو بالأحرى الصِّياغة وجَعْلِ أسلوب الجريدة مقروءًا بين العرب والمعرَّبين ...، وأما **الإضافة** فهي ما كان يختاره لها الحفناوي من مقالات وطرائف وتراجم من كتب التُّراث الإسلامي الَّتي يعرفها ... أمَّا الجانب الآخر وهو **التَّرجمة** فنعتقد أنَّ **الحفناوي** لم يُنْتج فيه إلَّا في وقت لاحق، أي بعد أن تعلَّم الفرنسية وأصبح قادرًا على التَّرجمة منها والتَّلخيصِ بها"[5].

والحقيقة أنَّ شخصيةً بهذا المستوى المعرفي والعلمي، وإتقانه للُّغة الفرنسية الَّتي كانت لغةً للعلوم آنذاك، فتحَتْ الأبواب لنقل كثيرٍ من البحوث العلمية الَّتي كان ينشرها في جريدة **المبشر**، و**جريدة التقويم الجزائري** الَّتي كان يشرف عليها الشَّيخ **محمود كحول**، واستطاع أيضًا أن يُترجم بعضًا من البحوث العلمية إلى العربية كالكتاب الذي ألفه الطبيب **ريسر** "Dr. Risser" في تربية النَّحل، والَّذي سمَّاه "**رفع المحل في تربية النَّحل**"، وكتاب في تدبير الصِّحَّة سمَّاه "**الخير المنتشر في حفظ صحَّة البشر**" بالاشتراك مع الفرنسي **جون ميرانت** "Jean Mirante".

أمَّا أجلُّ آثاره كلِّها والَّذي اكتسب بسببه شهرةً كبيرةً هو **تعريف الخلف برجالِ السَّلف**، هذا الكتاب الَّذي جمع في طيَّاته تراجمَ واسعةً للعلماء والأدباء في أغلب العصور، خاصةً العهد العثماني وبداية العهد الاستعماري، مُستعينًا بمادةٍ كبيرة من المصادر تتنوَّع بين مخطوطات ومراسلاتٍ ووثائق، ومنها ما أخذها سماعاً من العلماء وشيوخ الزَّوايا، كالشَّيخ **محمَّد بن عبد الرَّحمن الدِّيسي** الَّذي أفاده بكثيرٍ من تراجم علماء الجنوب الجزائري، هذه المميزات كلُّها جعلتْ من هذا الكتاب وثيقةً بالغة الأهمية في التعرُّف على كثير من الشَّخصيات في تاريخ **الجزائر**، واستطاعت أن تَسُدَّ بعض النَّقص في التَّعرف على الأحوال الدِّينية والاجتماعية والأدبية لمرحلتيْ العهد العثماني والفترة الاستعمارية.

3. أبو القاسم الحفناوي وتكوينه ومعارفه الصُّوفية:

إنَّ المطَّلِع على ترجمة وسيرة أبي **القاسم الحفناوي**، يتَّضح له جليًّا أنَّه تربَّى وتعلَّم في محيطٍ يغلب عليه الطَّابع الصُّوفي من جميع جوانبه، وذلك لأنَّ الصُّوفية كانت ظاهرةً سائدة على أغلب **القطر الجزائري**، متمثلةً في انتشار واسع للطرق الصُّوفية والزَّوايا في كامل ربوع البلاد آنذاك، كالطَّريقة **التِّيجانية** والطَّريقة **الرِّفاعية** والطَّريقة **الرَّحمانية** وغيرها.

---

[4] المرجع السابق، ج7، ص 428 – 429.

[5] نفسه، ج7، ص 429.

فإذا جئنا إلى تكوينه الأوَّل نجدُ أنَّ رحلته في طلب العلم بدأت في **طولقة** بنواحي **بسكرة**، حيث التحق **بزاوية سيدي علي بن عمر**، فأخذ فيها العلم عن ابن شيخ مُؤسِّسها، وعن الشَّيخ **مصطفى بن عبد القادر** الشَّريعة والأدب، ومكث في طلب العلم بالزَّاوية أربع سنين، ومن زاوية **طولقة** انتقل إلى منطقة **زواوة**، حيث التحق بزاوية **الشَّيخ السَّعيد بن أبي داود بآقبو**، فقضى بها ثلاث سنوات، أخذ فيها علوم القرآن الكريم مع دراسة الفقه والفلك عن الشَّيخ **محمَّد بن داود الزواوي**.

وبعد تلك الجولة العلمية الَّتي استغرقت سبع سنوات، عاد إلى مسقط رأسه **الدِّيس**، والتحقَ **بزاوية الهامل**، مُتتلمذاً على شيخها ومؤسِّسها العلَّامة **محمَّد بن القاسم الهاملي**، ويمكث بالزَّاوية سنتين، حيث أخذ عنه التَّفسير والحديث الشَّريف، وقد أجازه مشايخ الزَّوايا الَّذين أخذ عنهم العلم في كل من **طولقة، زواوة** و**الهامل** إجازة التَّحصيل العلمي والإذن له في التَّعليم.

إنَّ كلَّ هذه الزَّوايا الَّتي أخذ العلم عن شيوخها الَّذين كانوا صوفيةً بالدَّرجة الأولى ينتمون إلى الطُّرق المعروفة في ذلك الوقت، لا بدَّ أن يكون لهم تأثيرٌ على نشأته الصُّوفية، وأن يتشرَّب بأفكارهم ومعارفهم، ويعمل بطقوسهم وأورادهم، كما أنَّه كان مُنتسباً للطَّريقة **الرَّحمانية**، وظلَّ ولاؤه لها "ثابتاً مثله مثل المفتي **علي بن الحفاف** مع الشَّاذلية، والقاضي **شعيب بن علي** مع الطَّريقة التِّيجانية"[(6)].

ومن الدَّلائل على معارفه الصُّوفية، هي أنه كان مطَّلعًا ودارساً للآراء الفلسفية الَّتي جاء بها كبارُ المتصوِّفة من أمثال **محي الدين بن عربي**، و**عبد العزيز الدباغ** صاحب كتاب (**الإبريز**)، وكان مُعجبًا بها إلى درجة الافتتان، ممَّا يدلُّ دلالة واضحة أنَّه كان مُعجبًا أيضًا بالأفكار الفلسفية الَّتي داخَلتْ علماء الصُّوفية خاصةً المتأخرين منهم، كفكرة **وحدة الوجود**، و**الحلول والاتحاد** وغيرها، فقد حكى عنه تلميذه **عبد الرَّحمن الجيلالي** قائلاً: "كان مُعجباً ومُغرماً كذلك بما جاء به فطاحل رجال التّصوُّف الإسلامي وأعيان علمائه من آراءَ فلسفيةٍ وأفكار غريبةٍ عجيبةٍ، فكان يقدِّمُها لنا بكلِّ احترامٍ، ويشرحُها شرحًا دقيقاً حسبما يبلغ إليه فهمُه، ويوكل ما غَمُض منها إلى الله، ولا سيما آراء **ابن عربي** في **فتوحاته**، و**الدبَّاغ** في (**الإبريز**)، فقد كان له ذوقٌ ممتازٌ وخاصٌّ في فهم كلامهما وشرحه"[(7)].

ومن الدَّلائل كذلك، أنَّه قام بمساعدة شيخه **آرنو** "Arnaud" في ترجمة الفصل المتعلِّق بالتّصوُّف من كتاب (**سُعود المطالع**) **لعبد الهادي نجا الإبياري** إلى اللُّغة الفرنسية، كما حكى ذلك أيضًا تلميذه عبد الرَّحمن الجيلالي حين قال: "كان شيخُنا يساعدُه –أي آرنو– على شرح النُّصوص الصُّوفية الَّتي جاء بها المؤلف، وقد صدر هذا البحث منشورًا باللُّغتين العربية والفرنسية بمطبعة فونتانة عام 1305هـ / 1889م"[(8)].

---

(6) أبو القاسم الحفناوي. **تعريف الخلف برجال السلف – قسم الدراسة**. ت. خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2012، ج1، ص275.

(7) عبد الرَّحمن الجيلالي. **تاريخ الجزائر العام**. الشركة الجزائرية، الجزائر، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965، ج4، ص 429.

(8) عبد الرَّحمن الجيلالي، المصدر السابق، ج4، ص 428.

بالإضافة إلى أنَّه كان مصدراً مُهِمًّا من المصادر الَّتي اعتمد عليها **ديبون وكبولاني** "Dupon et Copoloni" في كتابهما (الطُّرق الدِّينية الإسلامية)، فقد ساعدهما في ترجماتهما للمصطلحات الصُّوفية، وهو الوحيد الَّذي نوَّها به وبمساعدته في مقدمة كتابهما، حيث قالا: "إنَّ الشَّيخ الحفناوي قد وضع نفسه تحت تصرُّفهما أثناء تأليف كتابهما الضَّخم (الطُّرق الدِّينية الإسلامية)، وأنَّه صحَّح بمعارفه الغزيرة ترجماتهما في موضوع الطُّرق الصُّوفية"، ثم إنهما وصَفاه بـ"الخوجة المحرِّر **بالمبشر**"[9].

وممَّا يدلُّ أيضًا على طُغيان الطُّرقية وتأثيرها الكبير في حياته، أنَّه رغم دراسته الحدِيثة وبُلوغه في العلوم والفقه منزلةً كبيرةً حتَّى صار مُفتيًا للمالكية في **القُطر الجزائري**، إلا أنه ظل مولعاً بتقديس الأولياء وأصحاب الكرامات "حدًّا لا يُصدق، وكان يؤمن بكراماتهم ويتودد في ضرائحهم بالدعاء والغوث عندما تلم به الملمات والأزمات"، ولا يتوانى أبدًا في التوسل بهم والدعاء عندهم "حتَّى وإن حال بينه وبين زيارة قبورهم وضرائحهم ظروفُ طارئةٌ، فإنه كان يستعين ببعض أصحابه ممن يثق فيهم بأن ينوبه في الزيارة وحتَّى الدعاء، إيماناً منه بأن هؤلاء الصالحين حتَّى وهم في قبورهم، يمكن أن ينال مراده بواسطتهم"[10].

من ناحية أخرى، نجد الحفناوي ينظم قصائد انعكست فيها تلك الروح الصُّوفية، وظهرت آثارها واضحة على لسانه؛ حيث يمكننا إيراد بعض الأبيات من قصيدة كتبها مفتخرًا بجده **إبراهيم الغول**، يقول فيها[11]:

هُــو اللَّيــثُ إن ضِـيمَ مِـن نَسـلِه ظَلــومٌ يضــرُّ بــإنسٍ وجَــانْ
هــوَ البحــرُ جُــودًا **وغَوثًــا** لمــن أُصــيبَ ونــادَى وإنْ بعُمَــانْ

حيث يمكننا أن نلاحظ أنَّه جعل من جده **إبراهيم الغول** مغيثًا لمن يدعوه أو أصابه مكروه، حتَّى وإن كان في مكان بعيد كَبِلاد عُمان مثلاً، فإنَّ جدَّه يسمعُه ويُلبِّي له مطلبه.

وفي رسالة أرسلها له **عبد القادر بن النذير بن المكي** باش عدل **طولقة**، يقول له فيها: "اعلم سيدي... توجهت إلى ضريح سيدي **علي بن عمر**، فزرته وطلبت الله تعالى، لا سيما لك وللأهل والمحبين كما ذكرت لي، ثم ذهبت إلى **البرج**، فتوجهت إلى سيدي **ابن عزوز** ودخلت ضريحه وطلبت الله لديه نيابةً عنك أن يبلغك آمالك ويقضي حوائجك"[12].

كل هذه الدلائل يمكنها أن تفسر مدى تغلغل الطرقية في حياة الناس في تلك الفترة، حتَّى المثقفين منهم من أمثال **أبي القاسم الحفناوي**؛ فلا غرو إذن أن نجدَه يحشُد في كتابه تراجم الكثير من شُيوخ التّصوُّف من بينهم شُيوخ الزَّوايا الَّتي تعلَّم فيها، كالشَّيخ **محمَّد بن القاسم** مؤسِّس زاوية **الهامل**، والشَّيخ **الحفناوي بن علي** مؤسِّس زاوية **طولقة**،

---

(9) أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، **قسم الدراسة**، ج1، ص 250.
(10) نفسه، **قسم الدراسة**، ج1، 275.
(11) نفسه، **قسم الملاحق**، ج1، 409.
(12) نفسه، **قسم الملاحق**، ج1، 426.

وإذا تطرَّق لترجمة شخصية صوفية، أطنب في ذكر مآثره وكراماته كما فعل في ترجمة الشَّيخ **إبراهيم الغول** الَّذي يُقال: أنه تغوَّل في الولاية، ولم يغفل حتَّى أولئك المجاذيب الَّذين يجوبون الأسواق ويسألون النَّاس، فأورد لهم التَّراجم، مثلما فعَل في ترجمة **ابن الأمين التواتي**.

4. من ملامح التّصوُّف في العهد العثماني وفترة الاستعمار:

لست أحاول هنا أن أؤرِّخ للصُّوفية والطُّرقية في العهدين **العثماني والاستعماري**، وإنما أريد أن أعرض الملامح العامة للمظاهر الصُّوفية فيهما، وذلك لأنَّ **العهد العثماني** خاصَّةً هو المؤثر الكبير لانتشار الطرق الصُّوفية في **الجزائر** وكل المغرب العربي، لأنه كان طابعا عامًّا للدولة العثمانية الَّتي تقدس الأولياء والأضرحة، وتتأثر كثيرا بآراء كبار الصُّوفية من أمثال **محي الدين بن عربي**، و**ابن الفارض**، و**جلال الدين الرومي** وغيرهم.

وينبغي الإشارة إلى أنَّ التّصوُّف في العهد العثماني بالجزائر يُعتبر امتدادًا للعصور الَّتي سبقته بقرون، "وأنَّ معظم كبار المتصوِّفين ومؤسسي الطرق الصُّوفية في التاريخ الإسلامي قد ظهروا قبل القرن العاشر الهجري (16 م)؛ فالأسماء اللامعة في عالم التّصوُّف مثل **الغزالي** و**الحلاج** و**ابن عربي** و**ابن الفارض** و**جلال الدين الرومي** والحاج **بكداش** و**عبد القادر الجيلاني** وغيرهم قد ظهروا جميعا قبل التاريخ المذكور"[13].

والصُّوفية هم الَّذين كانوا سبَّاقين إلى مُبايعة الحكام العثمانيين ومؤازرتهم ومباركة جهادهم؛ حيث وجد هؤلاء الحكام عند الصُّوفية سندًا، ووقعوا في نفوسهم موقعًا طيبًا باعتبار أنهم هم أيضا كانوا متأثرين بالفكر الصوفي وشيوخه المشهورين، بخلاف أمراء البلاد **كالزيانيين** الَّذين رفضوا الحكم العثماني وحاربوه، ووصل بهم الأمر إلى التحالف مع العدو الإسباني على أن يذعنوا للسلطة العثمانية.

ويمكن القول أنَّ في تلك الفترة الَّتي سبقت مجيء **العثمانيين** إلى **الجزائر**، كان هناك تفكُّكٌ في الوحدة الوطنية، وانقسام بين الأمراء وتنازع على السلطة، ولم يكن يحمي تلك اللحمة بين الناس سوى الدِّين بعامَّة والتّصوُّف بخاصَّة، أو ما يمكن أن نسميه بـ(السلطة الصُّوفية)، الَّتي كانت تُغذِّي تلك الرُّوح عن طريق (سلاسلها) و(طرقها الصُّوفية)، الَّتي كانت بمثابة الأحزاب في وقتنا المعاصر، تُشعر الأتباع والناس عمومًا بالمصير المشترك كلَّما داهمَهُم مدُّ الخطر الصَّليبي"[14].

ومن جهة أخرى، فإن العثمانيين قد انحازوا في بداية الأمر إلى رجال التّصوُّف، ومنحوهم امتيازات خاصة بهم، حيث أغدقوا عليهم الأموال والعطايا لبناء الزَّوايا والرباطات، وأعفوا المقربين منهم من الضرائب ومنحوهم حرمة وحصانة، حتَّى صار من يلوذ بشيوخهم لا يلحقه أي ضير حتَّى وإن كان مجرما، " وكان تقربهم منهم عن عقيدة فيهم في معظم

---

[13] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 459.

[14] بكاي رشيد. **تأثير الطرق الصُّوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني**. مجلة الباحث، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، ع8، ديسمبر 2011.

الأحيان، تماما كما كان يفعل آباؤهم وزملاؤهم في **أناضوليا** و**البلقان** عندما كانوا يأخذون بركات الدراويش لينطلقوا نحو الجهاد، فهم في **الجزائر** كانوا يسيرون على تقاليد راسخة حفظوها منذ كانوا في المشرق".

بهذه الطَّريقة، وجد التّصوُّف طريقه خصباً للانتشار والتوسع، وبدأ يشيع بين الخاص والعام، ويتغذى من جميع الروافد الفلسفية والاجتماعية والثقافية، حتَّى التصقت به الخرافات والدروشة والخزعبلات، وامتلأ بالبدع والأباطيل، ولم يبق شخص سواءٌ كان من الأعيان والعلماء أو من السوقة والعامة إلا وله شيخ يتبعه، وصار الشعار السائد حينئذ هو "من لا شيخَ له فشيخُه الشَّيطان"[*]، وصار التباهي والتفاخر باتباع هذه الطَّريقة أو تلك، والتقرب من الأضرحة للتبرك بها والتماس الدعاء عندها.

هكذا كان الجو العام للصُّوفية والطرقية **القطر الجزائري**، وغزا **الفرنسيون** هذا القطر على هذا الوضع من انتشار واسع لهذه الطُّرق، ومغالاة في بناء القباب والأضرحة، وعموم الزَّوايا في كل ربوع الوطن، على أنَّ الزَّوايا كان لها فضلٌ كبيرٌ في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، بما كانت تُقدِّمه من دروس في الشَّريعة واللُّغة والأدب وما إلى ذلك.

ويمكننا أن نصنِّف التّصوُّف إلى نوعين؛ **النَّوع الأوَّل** هو الَّذي لم يكن له تعارضٌ مع الشَّرع؛ حيث أنَّ أغلب علماء المسلمين كانوا ينتسبون إلى طريقة صوفية معيَّنة دون أن يؤثِّر ذلك على رُوحهم الإيمانية الَّتي تحثُّهم على جهاد العدوِّ الغاصب. **والنَّوع الثَّاني** هو التّصوُّف المتأخِّر الَّذي داخلَتْهُ الخرافات والبدع والدَّروشة، وصار يدفع بأتباعه ومريديه إلى البطالة والتَّسوُّل والتَّواكل وتثبيط هممهم على "الاستعداد للكفاح من أجل طرد المحتل الغاصب، بدعوى أنَّ وجود الاحتلال في الجزائر هو من باب القضاء والقدر الَّذي ينبغي التَّسليم به والصَّبر عليه، وأنَّ طاعته هو طاعةٌ لولي الأمر"، وهذا هو الَّذي استغلته فرنسا لخدمة مآربها الاستعمارية، فكانوا خَير معينٍ لها على تحقيق ذلك، وعملوا على "إطالة ليل الاستعمار المظلم في البلاد من جهة، وتفرُّق صُفوف الأمة وضلالها في الدِّين والدُّنيا من جهةٍ أخرى"[15].

لذلك لمَّا جاء **الاستعمار**، قام بإحصاء كلِّ ما له علاقة بالتّصوُّف في الجزائر، من الزَّوايا، والقباب، والمريدين، لأهداف استغلَّتها **فرنسا** لأغراضها الخاصَّة فيما بعد، فبالمقارنة بين الدِّراسة الَّتي قام بها **لويس رين** " Louis Rinn"، والدراسة الَّتي قام بها **ديبون وكوبلاني** "Dupon et Copoloni"[1*]، نجد أن **لويس رين** "Louis Rinn" أحصى عدد الزَّوايا بـ: 355 زاوية، وأحصى **ديبون وكوبلاني** "Dupon et Copoloni" بـ: 349 زاوية، ثم عن عدد الأتباع عند **لويس رين** "Louis Rinn" هو: 169.000، وعند **ديبون وكوبلاني** "Dupon et Copoloni": 295.189[16].

---

[*] هذه المقولة منسوبة لأبي يزيد البسطامي، ووردت في **الرسالة القشيرية** لابن هوازن القشيري، ت. عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص 574، بلفظ: "من لَمْ يكن لَهُ أستاذ فإمامه الشَّيْطَان".

[15] أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، **قسم الدراسة**، ج1، ص 69.

[1*] عنوان الدراسة الَّتي كتبها **لويس رين**: (مرابطون وإخوان)، والدراسة الَّتي كتبها **ديبون وكوبلاني**: (الطرق الدينية الإسلامية).

[16] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 292، بتصرف.

ومن خلال النتائج الَّتي توصلت الدراستان إليها خاصة دراسة **ديبون وكوبلاني** "Dupon et Copoloni"، الَّتي جاء فيها ذكر الطرق الَّتي تحالفت مع فرنسا، والطرق المعادية لها؛ حيث اتضح لهما أن الطرق المتحالفة **كالعيساوية والتّيجانية** قد فقدت حيويتها وقلّ عدد أتباعها، بعكس الطرق المعادية **كالدرقاوية والرحمانية**، الَّتي زاد عدد أتباعها وتوسع نشاطها؛ فكانت التوصية للحكومة الفرنسية بعد الدخول في صدام مع هذه الطرق بهدم قبابها وزواياها واعتقال زعمائها، لأنَّ ذلك يضر بالمصلحة الفرنسية[17].

وبناءً على هذه الدِّراسات، وبعد تجربةٍ طويلة في مراقبة هذه الطُّرق والدُّخول معها في صِدامات واضطهادٍ لشُيوخها ومريديها، ممَّا أشعل فتيل الثَّورات في بداية الأمر، رأت **فرنسا** أن تفرض على هذه الطرق رقابة مشددة، ولكن دون الدُّخول معها في صراع، وتستغلُّها كلَّما سنحتْ لها الفُرصة للتأثير على الأهالي وخدمة أغراضها الاستعمارية، إلى أن ظهر نوع جديد من الطرق الصُّوفية تَمثَّل أساساً في **الطَّريقة العليوية** الَّتي يتزعَّمُها **أحمد بن عليوة المستغانمي**؛ حيث اعتبرتها "نموذجاً جديدًا للتَّصوُّف العصري ... وقد كانت الإدارة راضيةً، إن لم تكن مشجِّعة، عن هذه الظَّاهرة الَّتي ستؤدِّي عند بعض محلِّليها إلى تغيير وجه الطُّرق الصُّوفية من الأساس"[18]، وهي الَّتي دخلت في صراعٍ فيما بعد مع رجال الإصلاح متمثِّلين في **جمعية العلماء المسلمين** الَّتي يترأسها الشَّيخ **عبد الحميد بن باديس**.

وأمثال هذه الطَّريقة هم الَّذين كانت تستغلُّهم **فرنسا** وتحقق بهم مآربها، لأنهم من النوع الَّذي يقبل الخضوع، ويمكن السيطرة عليه واحتواؤه بكلِّ سُهولة، وكمثالٍ على ذلك، نجد **عدَّة بن تونس** الَّذي يعتبر الذراع الأيمن **لابن عليوة المستغانمي**، يقول في كتابه (الشواهد والفتاوى): "إنَّه انخرط في سلك العسكرية الفرنسية، على ما يقتضيه القانون الجبري، وصار مقرُّه القِشلة[19] بدل المسجد"[19].

5. ملامح التّصوُّف والصُّوفية في كتاب تعريف الخلف للحفناوي:

لقد قسَّم الحفناوي كتابة إلى قسمين: **القسم الأول**، تضمَّن تراجم الخمسين شخصية الَّذين وجد أسماءهم منقوشة في قباب المدرسة الثعالبية، **والقسم الثاني** خصصه لتراجم شخصيات القطر الجزائري وبعض الأقطار الأخرى كالمغرب وتونس والأندلس، واختلفت ما بين عالم وفقيه وأديب وصوفي وشيخ للزوايا، وحتى بعض السياسيين، حيث بلغ عددهم 369 شخصية، وتختلف أيضًا بين الإطناب في سرد أخبارهم وسيرهم، وبين الاختصار الَّذي لا يتعدى بضعة أسطر أحيانًا.

ولم يقتصر على القدماء منهم، بل إنه قد ترجم للجيل الَّذي قبله وحتى بعض المعاصرين له، وطرَّزه بكثير من الأشعار والقصائد المختلفة الأغراض كالمديح والرثاء والغزل والمدائح النبوية والتّصوُّف وغيرها، وهو بهذا يعتبر ذا قيمة عالية لأنه قد تضمن آثار بعض الشعراء الَّتي تُعتبر في حكم الضَّياع بسبب عدم جمعها ونشرها.

[17] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 306، بتصرف.

[18] أبو القاسم سعد الله، نفسه، ج4، ص 329.

[19] **القِشلة** بالكسر: مكان نزول العسكر. ينظر: جبران مسعود، **معجم الرائد**. دار العلم للملايين. بيروت، لبنان، ط7، 1992، ص 633.

[19] أحمد حماني. **صراع بين السنة والبدعة**. دار البعث، قسنطينة، د.ت، ص 61.

وكان من الأسباب الَّتي دفعته إلى تأليف كتابه هي اهتمام الوالي العام الفرنسي **شارل جونار** "Charles Jonnart" بإحياء التراث الإسلامي وتعاطفه مع مسلمي الجزائر، وما رأى من اهتمام الثقافة الأوربية بإحياء تراث أسلافه، وساعدتُه أيضًا الأبحاث الَّتي قدمها للمُعمِّريْن **ديبون وكوبلاني** "Dupon et Copoloni" في تأليف كتابهما (**الطرق الصُّوفية الإسلامية**)؛ فإنَّ بحثه ورجوعة إلى كتب التراث الإسلامي سهَّلتْ له كثيراً تأليف كتابه.

5. 1. ذكر الزَّوايا ومشايخها:

تناول **الحفناوي** في كتابه تراجم شيوخ الزَّوايا الَّتي درس فيها، وأطنب في ذكر مآثرهم وكراماتهم؛ حيث نراه في بداية ترجمته لشيخ من الصُّوفية يبدأها بقوله: "سيدي"، ثم يفيض في إطرائه بما شاء من ألقاب الصُّوفية؛ ففي ترجمته للشَّيخ **السَّعيد بن عبد الرَّحمن بن أبي داود** (**ت 1840م**)، شيخ زاوية **أقبو** في زمانه، وهي الزَّاوية الأولى الَّتي تعلم فيها **الحفناوي**، ذكر مآثر هذا الشَّيخ وأنَّه تخرَّج على يديه الكثير من الطُّلاَّب، واعتبر زاويته "أمّ الزَّوايا العلمية في القرون الثَّلاثة الأخيرة، ومنها انتشر الفقه والنَّحو والفلك والحساب في بلاد زواوة وما والاها إلى **قسنطينة** وإلى **الأغواط** جنوبًا وإلى **المدية** غربًا"[20].

ومما حكاه عن هذا الشَّيخ ممَّا يدخل تحت مسمى التَّصوف، حيث ذكر عنه كيف تربَّى يتيماً، وظلَّ يلقى الرِّعاية من تلامذة أبيه إلى أن: "جذبته عناية خاتمة المربِّين وواسطة عقد العارفين أبي عبد الله سيدي **محمَّد بن عبد الرحمن الخلوتي** الزواوي الأزهري، فقدِم إليه، ولما رآه عطف عليه، ورضي عنه، ومنحه أسرارًا ربانية، وأمره بالعمارة، وضَمِن له أمورًا كثيرة، ومن يومئذ جعل يعمر القلوب بالعلوم، وقصده خلق الله من كلِّ جانب، وحبَّبه الله للعباد، وشاع ذكره وفاح عطره، وظهرت بركة الأستاذ فيه"[21].

ومما يمكن ملاحظته في هذا النَّصِّ، أنَّ **الحفناوي** يعتقد في كبار شيوخ التَّصوُّف أنَّ لهم نوعًا من التَّصرُّف في قضاء الحوائج؛ حيث أننا نرى كيف ضَمِن الشَّيخ **للسعيد بن عبد الرحمن** أشياءَ كثيرة وعده بها، وأنَّ هؤلاء الشيوخ يملكون أسرارًا لا يقدمونها إلا لمن كانوا راضين عنه، وهذا يدخل فيما يُصطلح عنه عند الصُّوفية بـ: **الأقطاب والأبدال والأوتاد، والغوث**، وغيرهم، والَّذين لهم تصرف في الكون ولهم قدرة على حماية مريديهم[22].

وإذا جِئنا إلى ترجمة شيخ زاوية الهامل **محمَّد بن أبي القاسم الهاملي** (ت 1897م)، والَّذي يُعتبر من مشاهير علماء الجزائر في العصر الحديث، وتخرج على يديه آلاف الطلاب من داخل الجزائر وخارجها، ولنترك الحفناوي يسرد علينا ثناءه عليه ونعته بمختلف الألقاب حيث يقول: "سيدنا شيخ الإسلام، مقتدي الأولياء العظام، علم الهدى الَّذي من انتمى إليه كان من السعدا، القطب الرباني، والفرد الجامع الصَّمداني ... مربي المريدين، كهف السائلين..."[23].

---

(20) أبو القاسم الحفناوي، المصدر السابق، ج2، ص 452.

(21) نفسه، ج2، ص 439.

(22) ينظر: عبد المنعم الحفني. **معجم المصطلحات الصُّوفية**. دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص32 (**بدلاء**)، ص197 (**غوث**)، ص 217-218 (**قطب**)، ص 264 (**وتد**).

(23) أبو القاسم الحفناوي. المصدر السابق. ج2، ص 334.

وهذه الألقاب الَّتي أطلقها على شيخه: "**القطب**"، "**الصمداني**"، "**مربي المريدين**"، هي كلُّها مصطلحاتٌ معروفة عند الصُّوفية، يُطلقونها على شيوخهم ليُلبسوهم هالةً من القداسة ترفعهم عن منزلة البشر إلى منزلة الملائكة أو أكثر. **والصَّمداني** هو الَّذي يعني الانتساب إلى مقام الصمدانية الَّتي تعتبر عند الصُّوفية منزلة عالية لا يمكن الوصول إليها بسهولة، تكون بالمجاهدة على إثبات الافتقار لنفسه والغنى لله تعالى، ليصل بعد مجاهدة شاقة إلى مقام الفقر التام[24].

والملاحظ في حياة **ابن أبي القاسم الهاملي** أنه وإن كان محافظاً على انتسابه للطريقة الرحمانية، لم يكن رجل تصوف يوصف بما يصفونه به من الخلوة والرباط، وما ينسبون له من الخوارق والكرامات، ولكنه كان رجل علم وتعليم، "ولكن البيئة العامة وعقائد الناس في الصالحين وشراسة الاستعمار الفرنسي في معاملة السكان جعلت أمثال الشيخ **محمد بن بلقاسم** يظهرون من رجال الساعة وموالي الوقت أو المهديين المنتظرين، فأخذوا ينسبون إليه الكرامات وخوارق العادات كأنه من الدراويش والمجاذيب"[25].

5. 2. ترجمة الدَّراويش والمجاذيب:

في كتاب **تعريف الخلف**، كثير من تراجم رجالٍ ليسوا بعلماء ولا أدباء، وإنما هم سياح في الأرض، ألبسهم النَّاس قداسة، فصاروا من كبار الأولياء، ولا يمكن للناظر أن يراهم إلا وهم يجوبون الأسواق والأزقة والطرقات، يتسولون الناس، ويتمتمون بكلام غير مفهوم، فيلتف حولهم الناس ويتبركون بهم، ويرجون أن يجدوا عندهم نيل المراد وحصول المطلوب.

ويمكنُنا أن نجد في الكتاب مثلًا ترجمة **حبيبي التواتي**، حيث وصفه **الحفناوي** بقوله: "السيد البركة المتوجه القلب إلى مولاه في السكون والحركة ... كان يركب على حمار يدور في الأزقة والأسواق، وكان منسوبًا إلى الخير مُتبرَّكًا به من الخاصة والعامة"[26]، وترجمة **الحبيب الحمياني**، الَّذي نعته **الحفناوي** بـ: "الولي الصَّالح المجذوب السَّائح"[27].

ومن صفات هؤلاء الدَّراويش أنهم عزَّاب، وأغلبُهم ليس لهم أهل أو سكن يأوون إليه، كما في ترجمة **عبد الله التواتي،** الَّذي "كان أعزب لا أهل له"[28].

ووصل من تقديس النَّاس لهم أنَّهم صاروا يُقسِمون بهم، وأنَّ بركتهم عمَّت على قُراهم حتَّى حفظتها من الهلاك، كما في ترجمة **عمر بن موسى،** الَّذي قال عنه **الحفناوي**: "ومن بركاته أن أهل محله يقسمون به صغيرًا أو كبيرًا، وأنَّ قريته -والله أعلم- ما وصلت إلى خراب في الظَّاهر وهلاك إلا نفعها"[29].

[24] ينظر: محمد بن عبد الكريم الكسنزان. **موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان**. مكتبة دار المحبة، دمشق، سوريا، دار آية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج12، ص 240.
[25] أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ج4، ص 158.
[26] أبو القاسم الحفناوي. المصدر السابق. ج2، ص 115.
[27] نفسه، ج2، ص 116.
[28] نفسه، ج2، ص 233.
[29] نفسه، ج2، ص 298.

ومما يمكن ملاحظته في تراجم هؤلاء المجاذيب أنهم كانوا أغلبهم من بلاد **المغرب الأقصى**، من مدينة **فاس** بالأخص، ويبدو أنها ظاهرة كانت منتشرة بكثرة في تلك البلاد، حتى أنَّ منهم **عبد الرحمن المجذوب** الَّذي نال شهرةً واسعة في بلده وخارجها، وهو معروفٌ بأشعاره الحكيمة الَّتي يتداولها الناس بكثرة في مجالسهم.

5. 3. زيارة قبور الأولياء والصالحين:

كان الحفناوي مُولعًا بزيارة قبور الأولياء، والتبرك بقبورهم، والدُّعاء عندها طلبًا للحوائج أو للاستشفاء، وكان لا يترك مناسبة لتحقيق ذلك أبدًا، وإن عجز عنها، وكَّل أحدًا غيره أن ينوبه في الزِّيارة والدُّعاء؛ فقد ذكر في كتابه **تعريف الخلف**، أثناء ترجمة الشيخ **أحمد بن معمر البجائي** أنَّ "من زار **بجاية** ولم يزره، لم يذهب بشيءٍ منها والعياذ بالله تعالى"، ثمَّ حذَّر من عدم التأدُّب مع هذا الوليِّ الصَّالح، بعدم زيارته، لئلَّا يلحقَه الحرمان، وأردف قائلًا: "توجَّهتُ لزيارة رجال النَّخلة المدفونين في مسجد الخميس أعني السُّوق، وكذا من في مقبرة السُّوق نفعنا الله بهم"[30].

ثم يروي **الحفناوي** زيارته للمدفونين **بجبل خليفة**، وقال إنهم اثنا عشر قطبًا، وقد مرَّ في طريق زيارتهم على القنطرة، وحكى عن تلك القنطرة أنَّ كل من وقف عليها وتوجه للجبل، وسأل الله شيئًا، أعطاه إياه[31].

هكذا كانت رحلات **الحفناوي** والَّتي يقصُّها في كتابه كلَّما ترجم لشيخٍ من شيوخ الزَّوايا الَّتي درس فيها، أو للمدن والقرى الَّتي زارها، وفيها قبور ومقامات للأولياء، فإنه كان لا يتوانى للحظةٍ أن يُعرِّج عليها بالزيارة والدعاء، لعلَّه ينال البركة، أو يكونون سببًا في تحقيق مُراده.

ثم أثناء زيارته **لتلمسان**، نراه يقول: "وبعده زرت خلوة الشيخ سيدي **أبي مدين الغوث**، وقد زرت قبره والحمد لله في العباد في **تلمسان** أرض الجدار"[32].

وتبلغ رحلة الزيارات للحفناوي إلى خارج **القطر الجزائري**، إلى مدينة **مراكش بالمغرب الأقصى**؛ حيث ذكر ما قام به قائلا: "ثم توجهت لزيارة خلوة **الشيخ عبد القادر**، وخلوة سيدي **أبي العباس السبتي**، الكائنتين في برج اللؤلؤة، وقبر **سيدي أبي العباس** في مدينة **مراكش**".

ومما يلاحظ في حديثه عن هذه الزِّيارات، أنَّ الشُّيوخ الَّذين زارهم في قبورهم، كأنَّهم أحياءٌ، يجلسون في خلوتهم، وهذا مما يعتقده الصُّوفية ومريديهم من أنَّ شيوخهم لهم تصرف وقضاء للحوائج حتى بعد موتهم.

5. 4. الإفراط في ذكر الكرامات والخوارق:

إنَّ المتأمل لكتاب **تعريف الخلف**، يجد فيه ذلك الإغراق في نسبة الكرامات والخوارق للشُّيوخ المترجمين في الكتاب؛ حيثُ نرى **الحفناوي** يُبالغ كثيرًا في نسبة الأمور العَجيبة ويؤمن بها أشد الإيمان، وحتَّى أولئك المشهُورين بالعلم والتَّعليم، نراه يُضفي عليهم هالةً من القَداسة ونسبة الخوارق كأنَّهم أنبياء، دونَ تحقيقٍ أو تدقيقٍ أو تحرٍّ في الأخبار، وهو شيءٌ يدعُو للغرابة، ولا يزولُ الاستغراب إلَّا بعد أن نعلم أنَّ "السُّلطات الفرنسية هي الَّتي سعَتْ أو ساعدَتْ

---

[30] نفسه، ج2، ص 83.

[31] ينظر: أبو القاسم الحفناوي. المصدر السابق. ج2، ص 84.

[32] نفسه، ج2، ص 84، ومما يلاحظ أنَّ **الحفناوي** يعتقد بأنَّ **تلمسان** هي مدينة الجدار الَّذي ذكره الله تعالى في قصة **موسى والخضر** عليهما السلام.

على تحويل رجال العلم إلى أصحاب خُرافة ودروشة، وكأنَّ المتَّصلين بالدِّين الإسلامي واللُّغة العربية عندها هم بقية سلفٍ فاقدٍ للعَقل منجذبٍ نحو الخرافات والشَّعوذة والسِّحر، لكي تحافظ هي على ما كانت تُسمِّيه رسالة التَّقدُّم والحضارة الَّتي جاءتْ بها إلى **الجزائر**"[33].

ولنبدأ بذكر طريقة **الحفناوي** في وصفه للشُّيوخ، وكيف يُضفي عليهم الأوصاف الَّتي ترفعُهم إلى ما فوقَ العادة، ففي ترجمة **الجودي بن الحاج**، يقول: "المحاسب نفسه على كلِّ نفسٍ، الشَّيخ على الحقيقة، شيخ الطَّريقة، ولايته ظاهرة، وأحواله فاخرة، وأسراره سنية، وأنواره قدسية، كراماته وأحواله مشهورة، وعلومه منشورة، وقد بلغ رحمة الله عليه حالة التربية"[34]؛ ودرجة **التربية** هذه عند الصُّوفية هي منزلةٌ عاليةٌ لا تُنال إلا بمجاهدة النَّفس وتطويعها، حتى تصير قادرة على حمل الأسرار، كما قال **صدر الدين القونوي**: "هي حقيقةٌ كليةٌ، تتضمَّن معظم أسرار التَّدبير الوجودي، والحكم الكوني والرَّبَّاني"[35].

وفي ترجمة **علي التَّماسيني**، يصفه بأوصاف أكبر من ذلك، فيقول: "القطب الكامل، والغوث الفاضل، ذو الكرامات الجمَّة والفضائل الشَّائعة بين هذه الأمَّة، بدر السَّعادة الَّذي ضاءتْ به الغياهب، وشمس الهداية الَّتي تُقتبس منها الأنوار في سبل المطالب، ذو الكشف الصَّريح، والفضل الصَّحيح"، ولا يقف الأمر عند هذا الحدِّ، فيقول عنه: "وقد كان له التصرُّف التَّام ... وكان يفعل أمورًا خارقة للعادة"[36].

أما فيما يخصُّ ذكر الكرامات الخارقة، ففي كتاب **الحفناوي** أعاجيب منها، كانت لا تفارق وليًّا أو شيخًا إلا وألصقت به، تحمل في طياتها مبالغات لا يُصدقها عقل، ففي ترجمة **أحمد الشريف الورتلاني**، يحكي لنا **الحفناوي** عنه أنَّه "كان يجتمع مع **النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم**، والمحلُّ الَّذي يجتمع فيه إلى الآن معروفٌ بعلامة ظاهرة"، ثمَّ يدلِّل على قوله ذلك بحكاية يرويها رجلٌ يقال له **محمَّد الحاج**، أنَّه باتَ عند **الشَّيخ الورتلاني**، فلمَّا أخذهم النَّوم، جاءهم ومعه جماعةٌ من الطَّلبة في منتصف اللَّيل، فاستيقظوا وسألوه عن مجيئه في هذا الوقت، وأنَّ ثلث اللَّيل أولى، فقال لهم: "أُعْلِمكم غير أنكم لا تخبروا أحدًا إلَّا بعد موتي ... فقال: لما نمتم امتلأ الموضع برجال الغيب، ثمَّ أتى **النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم** وسيدي **عبد القادر الجيلاني**، فأيقظتكم والحمد لله على ذلك"[37].

والدِّيوان هو من الخرافات الَّتي أُلصقت بالتَّصوُّف وروَّج لها المتأخِّرون منهم **كعبد الوهَّاب الشَّعراني**، حيث يزعمون أنَّه اجتماع بين الأحياء والأموات، يحضره الأولياء والصَّالحون، والصَّحابة، وحتى **الرَّسول صلى الله عليه وسلم**[38].

[33] أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ج4، ص 158.
[34] أبو القاسم الحفناوي. المصدر السابق. ج2، ص 109.
[35] محمد بن عبد الكريم الكسنزان. **موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان**. مكتبة دار المحبة، دمشق، سوريا، دار آية، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ج8، ص 288.
[36] أبو القاسم الحفناوي. المصدر نفسه. ج2، ص 273.
[37] نفسه، ج2، 63.
[38] ينظر: عبد الرحمن عبد الخالق. **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**. مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط2، د.ت، ص 269.

وفي ترجمة **أحمد بن عمر الدَّلسي**، الَّذي يعتبر عند **الحفناوي** من أهل التَّصريف، **والتَّصريف** هو رتبةٌ يبلغها الصوفي، تمكِّنه من أن يكون له تصرُّفٌ في شؤون نفسه أو شؤون الخلق، وهي ثلاثة مراتب: تصريف بالنفس، وتصريف بالجمادات، وتصريف بالخلق[39]، وأنَّ من عجائب هذا الشَّيخ أنه كان مطلعًا على بعض المغيَّبات، وأحوال الكشف فيه ظاهرة، و**الكشف** أيضًا مرتبةٌ من مراتب المتصوِّفين، حيث تُكشف له الأمور المغيَّبة فيراها رأي العين.

وفي ترجمة **عبد السَّلام التواتي**، هذا الشَّيخ العجيب الَّذي كان في أوَّل أمره لا يُصلي، وبعد تردُّده على **الشَّيخ عزوز** المدفون في **فاس**، حصلت له الكرامة بسببه، فأعرض عن الدُّنيا، وانقطع للعبادة في بعض الكهوف، وحينها رأى عجائب لا تُحصى، "وكانت الجمادات تكلِّمه، وتبشِّره بما حصل له من الفتح العظيم، وتقول له: هنيئًا لك، لم يبلغ هذا المقام أحدٌ إلاَّ أمِن من السَّلب إلاَّ القليل، ثم كُشف الحجاب بينه وبين **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، فصار لا يشاهد في العالم إلاَّ وجهه الشَّريف حيث توجَّه، وبقي كذلك مدَّةً، قال: فقال لي **رسول الله صلى الله عليه وسلم**: ها أنت وربُّك، وحينئذٍ طلعت عليه شموس المعارف، وأدرك ما لا يُكيَّف من الأسرار واللَّطائف، ولقي **الخضِر** عليه السلام، وقال له: أنا **الخضِر**، بعثني الله إليك لأخبرك بأنَّ ما تشاء يعطيك الله إياه..."[40].

هكذا يمضي **الحفناوي** في كتابه، ساردًا للعجائب والخوارق الَّتي تحدث على يد الشُّيوخ الَّذين يترجم لهم، متأثرًا بها غاية التأثر، وما أوردناه هو عبارة عن غيض من فيض، ولمن أراد التوسع، فما عليه إلا ان يقلب صفحات هذا الكتاب، الجزء الثاني منه خاصة، ليجد ما هو أغرب من ذلك بكثير.

ومما يستغرب له أن يكون **الحفناوي** بعد أن بلغ في العلم شأوًا بعيدًا، ونهل من الثقافة الغربية ما نهل، بقي مؤمنًا بتلك الخوارق، يسردها في كتابه بروح حماسية عجيبة، تدل على أنها راسخة في أعماقه، وقد استبعد **أبو القاسم سعد الله** أن يكون **الحفناوي** يؤمن بذلك حق الإيمان، وقال أنه "مجرد مجاملة لشيوخ العصر والمتعلمين الَّذين عاصرهم، وفيهم بعض القضاة والحكام والمرابطين، ونحن نعلم أن المثقفين عندئذ، مهما بالغوا في التحرر، كانوا يحمون أنفسهم بالانضمام إلى إحدى الطرق الصُّوفية، على الأقل، أو التظاهر بموالاة أهل الخير والولاية"[41].

6. جوانب من الأدب الصُّوفي في كتاب تعريف الخلف:

استطاع الحفناوي في كتابه **تعريف الخلف** أن يجمع أشعارًا ونصوصًا كثيرة لشخصياتٍ يُعتبر إنتاجُها في حُكم المفقود، وسهَّلت له بُحوثه واطلاعاته واتِّصالاته، وما حصل عليه من وثائق ومخطوطات، بعد جهود مضنية، من العُثور على نصوص نادرة رفعت من قيمة الكتاب، باعتباره وثيقة مهمة للدارسين ومحبي الأدب والتاريخ، يمكنها أن تفتح الآفاق، وتجلُوَ الغموض عن كثيرٍ من الجوانب في تاريخ **الجزائر** خاصَّة الفترة الاستعمارية منها.

[39] ينظر: فتحي العجم. **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**. مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1999، ص 176.

[40] أبو القاسم الحفناوي. المصدر السابق. ج2، ص 217.

[41] أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ج7، ص 433-434.

فيما يخصُّ الشِّعر الصُّوفي في الكتاب، يمكنُنا أن ندلِّل عليه بإيراد بعض الأمثلة الَّتي تُعتبر جانبًا واحدًا من عدَّة جوانب أدبية أخرى، ففي ترجمة **محمد ابهلول المجاجي** الَّذي يعتبر من شيوخ الصُّوفية الكبار، والَّذي "كسا علم التَّصوُّف طلاوةً وبهجة ... وله الباعُ الطَّويل العريض في الشِّعر والقريض"[42]، وساق له **الحفناوي** عدَّة قصائد، يقول في واحدة منها، واصفًا شُيوخ الصُّوفية، وما حازُوه من رِفعةٍ ومقَامٍ عظيمٍ عند الله، وسمَّاهم "رجال الله":

لقــدْ فَــاز أهــلُ الجــدِّ بالصِّــدقِ والوَفــا — فحـــولُ رجـــالِ الله في حَضــرةِ القُــدسِ
أجَــلُّ دأبُهُــم حُــبُّ الإلــه وطَوعُــه — وقـد أعرضـوا زهـدًا عـن الجـنِّ والإنـسِ
وأنفسُــهم تســمُو علــى كــلِّ رتبــةٍ — وغابـتْ عـن الأكـوان والعـرش والكرسِـي

ودرجة **الغيبة** عند الصُّوفية هي أن يَغيب عن أحوال غيره من الخلق، فيكونَ كالغائب الحاضر، ولكنَّنا في هذه الأبيات لسنا ندري كيف غابت نفوس الأشياخ عن العرش والكرسي؟! ثم ذكر مراتبَهم، ومدى ما يتفاوتون فيه من الدَّرجة والفضل، فقال:

فــلا فــرق في أحكامهــا بــين ســالكٍ — مُــربٍّ ومجــذوبٍ وحــيٍّ وذي رمــسِ
وذي الزُّهــد والتُّقــى، فالكــلُّ كامــلٌ — ولكنَّمــا البُــدور ليســتْ كمــا الشَّــمسِ
فــبعضٌ يُســمَّى بالنَّقيــب، وبعضُــهم — يســمَّى النَّجيــبَ، فــادرِ كــلاًّ بــلا نقــصِ
وبعــضٌ بأعمُــدٍ وقطــبٍ جميــعهم — هـو الغـوث في القـول الأصـحِّ لـذي الحسِّ
مــراتبهم تفاوتــتْ بمواهــبٍ — فصــولاً وإنَّمــا الولايــة كــالجنسِ[43]

وفي مقطوعة أخرى يقول **محمَّد بن عبد الكريم المجاوي**، مجسدًا طبيعة التوسُّل عند الصُّوفية، وفيها يتوسَّل **بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم**، وبآل البيت، وبالصَّحابة، والتَّابعين، وبشيوخ الصُّوفية:

بمحمَّــد وبِبِنتــه وبِبَعْلهــا — وابنيهمــا السِّــبطين أعــلام الهــدَى
وبأهــل بــدرٍ والصَّــحابة كلِّهــمّ — والتَّــابعين لهــم دوامًــا ســرمدا
وبعــدك النُّعمــان ثمَّ بمالــكٍ — والشَّــافعي قُطــب الوجــود وأحمــدَا
وبغوثنــا وبشــيخه وابــن حــرزهم — وبجــدِّه عبــد السَّــلام الزاهــدَا[44]

والملاحظ في هذه الأبيات أنَّ الشَّاعر قد جعل **الشَّافعي** قطب الوجود، كأنه أحد شيوخ الصُّوفية المتوسل بهم، مع أن المعلوم عن **الشافعي** أنه قد ذمَّ الصُّوفية أشدَّ الذّمِّ، وله أقوالٌ مشهورةٌ في ذلك، منها قوله: "لو أنَّ رجلاً تصوَّف أوَّل

---
[42] أبو القاسم الحفناوي. المصدر السابق. ج2، ص 428.
[43] نفسه، ج2، ص 432.
[44] نفسه، ج2، ص 442.

النَّهار، لا يأتي الظُّهرُ حتَّى يصير أحمق"، وقال عندما سافر إلى **مصر**: "تركت **بغداد** وقد أحدث الزنادقة شيئًا يُسمُّونه السَّماع"[45].

وفي قصيدة أخرى تتضمَّن مدح الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّحمن الأزهري الَّذي عدَّه الحفناوي الغوث الأكبر والمربي الأشهر، يبدأها المادح بالوعظ قائلاً:

ثِــــقْ بالمجيــــــد الواحــــــد المتعـــــالي ربِّ الــــوليِّ ذي الطَّــــول والإجـــــلالِ
وأنِــــخْ بســـــاحة جـــــودهِ ســــبحانهُ عــــمَّ الأنـــــامَ بِــــبِرِّهِ المتـــــوالي

ثمَّ بعد بضعة أبياتٍ، يخلُص إلى مدح الشَّيخ المذكور والتَّوسُّل به قائلاً:

تُــبْ وانكفــفْ عــن كــلِّ غــيٍّ وامتثِــلْ متوسِّــــــلاً بالسَّــــــيِّد المفضــــــالِ
هـــوَ ذاك مشـــــهورُ الكرامَــــات العُـــلا مـــن صـــيتِها قـــد شَـــاعَ كالأمثـــالِ
تـــاجُ المعـــارفِ قطـــبُ دائـــرة الـــورى ذو الكرامـــــات الخلـــــوتيُّ الحـــــالِ
بــــدرُ الكمَــــال الأزهــــريُّ محمَّـــدٌ غــوث الــورى في شــدَّة الأوجــالِ[46]

أمَّا فيما يتعلَّق بالنَّثر الأدبي الصُّوفي، فلا بأس أن ندلِّل عليه بمثال من رسالةٍ بعثها الشَّيخ **أبو الحسن علي بن عبد الرَّحمن** مفتي **وهران** إلى الشَّيخ **أحمد العبدلاوي** الَّذي تَرجم له **الحفناوي**، يقول فيها: "والدُنا الرُّوحاني، وطبيبُنا النَّفساني، وليُّ نعمتنا، ملاذي وعمدتي وقدوتي، حاملُ لواء الطَّريقة المحمَّدية، ومظهرُ أسرار التِّيجانية، العارف بالله من الله إلى الله، سيدنا ومولانا **أحمد العبدلاوي**، أبقى الله وجودك، وأشرق في شموس العرفان شموسك، أيا شريكي في الصُّورة الإنسانية، وإن كنَّا واحدًا من حيث الحقيقة المحمَّدية، نورك الكلُّ والورى أجزاءُ ... أشهد بالله أني ما سمعتُ ولا علمتُ بعد انتقال سيدي **العربي بن السائح** رضي الله عنه، ولا رأيتُ من يقوم مقامك في هذه الطَّريقة المحمَّدية، ولا من يعرف شروطها الصِّحِّية والكمالية...".

وهو نصٌّ يعكس بصورة واضحة كيف كان يُنظر إلى شُيوخ الصُّوفية بنظرةٍ ترفعُهم إلى مقاماتٍ عالية، وما كانُوا يُضفون عليهم من المدائح الخارِقة، حتَّى تلك الَّتي مُدح به **الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم**، كما في قوله: "نُورك الكلُّ والورى أجزاءُ"، وهو مأخوذ من همزية **يوسف بن إسماعيل النبهاني** المسمَّاة (طيبة الغرَّاء في مدح سيِّد الأنبياء)، والَّتي عارض بها همزية **البوصيري** (أم الورى في مدح خير الورى)، فلا بأس عند الصُّوفية من اقتباس خصائص **الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم** وإضفائها على شيوخهم.

[45] ينظر: عبد الرحمن عبد الخالق. المرجع السابق. ص 425.
[46] أبو القاسم الحفناوي. المصدر السابق. ج2، ص 460-461.

7. خاتمة

والآن بعد هذه الجولة مع كتاب **تعريف الخلف برجال السَّلف، لأبي القاسِم الحفناوي**، يمكننا ان تستخلص بعض النتائج التي مكنتنا هذه الدراسة من الوصول إليها، نجملها فيما يلي:

- يتبيَّن للمتأمِّل مدَى ما يغلِبُ على هذا الكِتاب من الطَّابع الصُّوفي، ومدَى ما يعكسُ بصدقٍ العصرَ الَّذي كُتب فيه، ذلك العصر الَّذي كان يموج بالصُّوفية والمتصوِّفين، المتمثلين في رجال الطرق، وشيوخ الزَّوايا، ومريديهم، وتلك النظرة التقديسية الَّتي كان يمتاز بها أولئك الشيوخ، والَّتي كانت ترفعهم إلى مقام الأنبياء، وتلك الهالة من الكرامات الخارقة الَّتي كانت تحكى عنهم، وتُروى في تراجمهم.
- إنَّ هذا الطُّغيان الصُّوفي في كتاب **تعريف الخلف**، يعتبر انعكاساً للعصر وما كان سائدًا فيه من الغلو الصوفي، والذي ورثه الشعب الجزائري من العهد العثماني الذي كان معروفا بتقديس الشيوخ، والاهتمام بالأضرحة والقبور، ثم باستغلال الاستعمار الفرنسي لهذه العادات الموروثة وتشجيعها لتحقيق مآربه الاستعمارية.
- يمكننا أن نستشفَّ عند قراءتنا المتأنية لكتاب **تعريف الخلف** أن **الحفناوي** ربَّما يكون مدفوعًا دفعًا إلى المغالاة في وصف شيوخ الصوفية، وإضفاء تلك الهالة التقديسية عليهم، باعتبار أنَّ المشرف على الكتاب وصاحبه هو المستعمر الفرنسي متمثلا في **آرنو** "Arnaud"، فلا يُستبعد أن يكون هذا الأخير هو الَّذي كان يحثُّ الحفناوي على اختيار الشَّخصيات الَّتي لها تأثيرٌ كبيرٌ على عامَّة الشَّعب الجزائري، بالإضافة إلى أنَّ **الحفناوي** ربَّما يكون غير مقتنعٍ بما يسرُده من قَصص تلك المغالاة، باعتبار أنَّه قد تلبَّس بالمدنِية والثَّقافة الغربية، وما درَسهُ من علومٍ حديثة.
- إنَّ هذا البحث هو جانبٌ واحدٌ من جوانب الكتاب الكثيرة الَّتي تحتاج إلى بحثٍ ودراسة، لعلَّها تجلو كثيرًا من الظَّواهر والمميِّزات الَّتي كانت تنتابُ العصر الاستعماري والعصور الَّتي قبله من تاريخ الجزائر، وتبرز القيمة التَّاريخية والأدبية لهذا الكتاب، لعلَّ ذلك يفتح المجال للباحثين لخوض غمار تحقيق مخطوطات كتب التراجم التي ما زالت مكتنزةً على الرفوف، لأن ذلك من شأنه أن يرفع الغموض عن تاريخ الجزائر العلمي والأدبي.

المصادر والمراجع

المؤلفات:

- ابن حزم الأندلسي. **ديوانه**. ت. عبد العزيز إبراهيم. دار صادر، (بيروت، لبنان: دار صادر، ط1، 2010).
- أبو القاسم الحفناوي. **تعريف الخلف برجال السلف**. ت. خير الدين شترة، دار كردادة (الجزائر: دار كردادة، ط1، 2012).
- أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي**. دار البصائر، (الجزائر، دار البصائر، ط. خاصة، 2007).
- أحمد حماني. **صراع بين السنة والبدعة**. دار البعث، (قسنطينة: دار البعث، د.ت).
- جبران مسعود. **معجم الرائد**. دار العلم للملايين، (بيروت: دار العلم للملايين، ط7، 1992).
- عبد الرَّحمن الجيلالي. **تاريخ الجزائر العام**، الشركة الجزائرية، دار مكتبة الحياة، (الجزائر، بيروت: الشركة الجزائرية، دار مكتبة الحياة، ط2، 1965).
- عبد الرحمن عبد الخالق. **الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة**. مكتبة ابن تيمية، (الكويت: مكتبة ابن تيمية: ط2، د.ت).
- عبد الكريم بن هوازن القشيري. **الرسالة القشيرية**. ت. عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف، دار المعارف، (القاهرة: دار المعارف، د.ت).
- عبد المنعم الحفني. **معجم المصطلحات الصُّوفية**. دار المسيرة، (بيروت: دار المسيرة، ط2، 1987).
- فتحي العجم. **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**. مكتبة لبنان، (بيروت: مكتبة لبنان، ط1، 1999).
- محمد بن عبد الكريم الكسنزان، **موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التَّصوف والعرفان**، مكتبة دار المحبة، (دمشق، بيروت: مكتبة دار المحبة، دار آية، ط1، 2005).

المقالات:

- بكاي رشيد. **تأثير الطرق الصُّوفية على المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني**. مجلة الباحث، العدد 8، 2011.

المداخلات:

- صالح بلعيد. **قراءة في تعريف الخلف برجال السلف للشَّيخ أبي القاسم محمَّد الحفناوي الديسي**. يوم الدراسي حول الشيخ أبي القاسم الحفناوي، دائرة الدِّيس، ولاية المسيلة، يوم 20 أفريل 2006.